

تفسير البحر المحيط

@ 432 حسنات أوليائه وعفوه عن سيئاتهم . .

ولما ذكر جملة من صفاته العلا الذاتية والفعلية ، ذكر أنه المنفرد بالألوهية ، المرجوع إليه في الحشر ؛ ثم ذكر حال من جادل في الكتاب ، وأتبع بذكر الطائعين من ملائكته وصالحي عباده فقال : { مَا يُجَادِلُ فِدَاءِ آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا } ، وجدالهم فيها قولهم : مرة سحر ، ومرة شعر ، ومرة أساطير الأولين ، ومرة إنما يعلمه بشر ، فهو جدال بالباطل ، وقد دل على ذلك بقوله : { وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ } . وقال السدي : ما يجادل : أي ما يماري . وقال ابن سلام : ما يجحد . وقال أبو العالية : نزلت في الحرث بن قيس ، أحد المستهزئين . وأما ما يقع بين أهل العلم من النظر فيها ، واستيضاح معانيها ، واستنباط الأحكام والعقائد منها ، ومقارعة أهل البدع بها ، فذلك فيه الثواب الجزيل . ثم نهى السامع أن يغتر بتقلب هؤلاء الكفار في البلاد وتصرفاتهم فيها ، بما أملت لهم من المساكن والمزارع والممالك والتجارات والمكاسب ، وكانت قريش تتجر في الشام واليمن ؛ فإن ذلك وبال عليهم وسبب في إهلاكهم ، كما هلك من كان قبلهم من مكذبي الرسل . .

وقرأ الجمهور : { فَلَا يَغْرُرُوكَ } ، بالفك ، وهي لغة أهل الحجاز . وقرأ زيد بن علي : وعبيد بن عمير : فلا يغرك ، بالإدغام مفتوح الراء ، وهي لغة تميم . ولما كان جدال الكفار ناشئاً عن تكذيب ما جاء به الرسول ، عليه السلام ، من آيات الله ، ذكر من كذب قبلهم من الأمم السالفة ، وما صار إليه حالهم من حلول نقمات الله بهم ، ليرتدع بهم كفار من بعث الرسول ، عليه السلام ، إليهم ؛ فبدأ بقوم نوح ، إذ كان عليه السلام أول رسول في الأرض ، وعطف على قومه الأحزاب ، وهم الذين تحزبوا على الرسل . ولم يقبلوا ما جاءوا به من عند الله ، ومنهم : عاد وثمود وفرعون وأتباعه ، وقدم الهم بالأخذ على الجدال بالباطل ، لأن الرسل لما عصمهم الله منهم أن يقتلوهم رجعوا إلى الجدال بالباطل . وقرأ الجمهور : { برسولهم } ؛ وقرأ عبد الله : برسولها ، عاد الضمير إلى لفظ أمة . { برسولهم } لِيَأْخُذُوهُ } : ليتمكنوا منه بحبس أو تعذيب أو قتل . وقال ابن عباس : ليأخذوه : ليملكوه ، وأنشد قطرب : % (فاما تأخذوني تقتلونني % .

فكم من أخذ يهوى خلودي .

%)

ويقال للقتيل والأسير : أخيد . وقال قتادة : { لِيَأْخُذُوهُ } : ليقتلوه ، عبر عن

المسبب بالسبب . { وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ } : أي بما هو مضمحل ذاهب لا ثبات له .
وقيل : الباطل : الكفر . وقيل : الشيطان . وقيل : بقولهم : { مَا أَنْتُمْ إِلَّا بِشَرِّ
مَثَلْنَا } . { لِيُذْخِرُوا } : ليزلقوا ، { بِهِمُ الْحَقُّ } : أي الثابت الصدق .
{ فَأَخَذَتْهُمُ } : فأهلكتهم . { فَكَيِّفَ كَانَ عِقَابِ } : إياهم ، استفهام تعجيب من
استصالحهم ، واستعظام لما حل بهم ، وليس استفهاماً عن كيفية عقابهم ، وكانوا يمرون على
مساكنهم ويرون آثار نعمة الله فيهم ؛ واجتزأ بالكسر عن ياء الإضافة لأنها فاصلة ، والأصل
عقابي . { وَكَذَلِكَ حَقَّتْ } : أي مثل ذلك الوجوب من عقابهم وجب على الكفرة ، كونهم
من أصحاب النار ، من تقدم منهم ومن تأخروا . { أَنْزَلَهُمْ } : بدل من { وَأَوْرَثْنَا
الْقَوْمَ } ، فهي في موضع رفع ، ويجوز أن يكون التقدير لأنهم وحذف لام العلة . والمعنى
: كما وجب إهلاك أولئك الأمم ، وجب إهلاك هؤلاء ، لأن الموجب لإهلاكهم وصف جامع لهم ، وهو
كونهم من أصحاب النار . وفي مصحف عبد الله : وكذلك سبقت ، وهو تفسير معنى ، لا قراءة .
وقرأ ابن هرمز ، وشيبة ، وابن القعقاع ، ونافع ، وابن عامر : كلمات على الجمع ؛ وأبو
رجاء ، وقتادة ، وباقي السبعة : على الأفراد .
{ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ
وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ
شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا } (سقط : فاغفر للذين آمنوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم
، ربن وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن) .